محمد مهدي البصير (شاعرا... وباحثا)

مهدية شاكر حسين & عباس هاني الجراخ

المقدمة

في العراق، وتحت ظل الحكم العثماني، والقرن التاسع عشر يلفظ اخر انفاسه، وفي زقاق ضيق بمحلة (الطاق) في مدينة (الحلة) ولد طفل اطلق عليه اهله اسم (مهدي) وما لبث أن سبق بـــ(محمد) على عادة اهل عصره، فصار (محمد مهدي)، وكان ذلك في غرة محرم الحرام 1313هـــ الموافق 24 حزيران 1885م[1].

اما أسرته، فهي من بني كلاب، اشتهر منهم الشيخ شهاب الدين بن عبيد بن احمد بن حسن وتسميه العامة (شيخ شهيب)، وبه تعرف الاسرة في الحلة إلى اليوم.

والشيخ شهيب هذا كان واعظا وخطيبا على المنابر الحسينية، حتى اذا توفي سنة 1311هـــ ورث عنه أولاده علمه، فكان ولد الشيخ عبد الحسين الذي توفي سنة 1324هـــ, ثم حفيده الشيخ محمد[2].

كانت ولادة الصغير (محمد مهدي) مصدر سعادة وفرح لابيه الشيخ محمد ولاسرته كلها، كي يخفف عنهم الم فقدان اخ له اسمه (علي).

في هذا الجو الديني نشا الصغير، فتعهده ابوه بالرعاية، وأرسله لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم ودراسة العلوم الشرعية والعربية، فسارع في التعلم ولما يبلغ الخامسة من عمره.

في هذا السن فقد بصره، بسبب الجدري[3]، فانطفا نور عينيه عن رؤية العالم، لكن نورا اخر شعَّ في قلبه وعقله، هو نور البصيرة، الذي جعله سبحانه وتعالى تعويضاً عنه، فكانت له حافظة نادرة[4] وذكاء متوقد، ونكتة حاضرة[5]، حتى لقب بـــ (البصير).

درس البصير على يد أساتذة اكفاء، منهم الشاعر (عبد المطلب الحلي)[6] ـــ بعض الوقت ـــ لكن اهم من اثر فيه هو السيد محمد القزويني[7] علامة الحلة ومرجعها الشرعي، الذي درس عليه جانبا من الحديث والفقه، ثم اخذ الكثير من علمه واديه وصفاته، وصحبه نحو ثلاث سنين، حتى وفاته سنة 1335هـــ ـــ1916م اتصل البصير بعدد كبير من الشعراء والادباء، وقرا دواوين المتنبي ومهيار والشريف الرضي وابي العلاء المعري، حتى نظم الشعر، ولما تتجاوز سنة الرابعة عشرة، وكان اهم الشعراء الذين

---

[1] ينظر: الأدب العصري في العراق 94, محمد مهدي البصير..... شاعرا 25.

وقد ذكر بعضهم انه توفي في سنة 1896م ينظر: شعراء العراق المعاصرون: 80، مجلة المورد مج 8, العدد الثالث, 1979م ص74 (مقال د.منير بكر التكريتي دراسات في الشعر العراقي الحديث:101.

[2] كان الشيخ محمد خطيبا واعظا، ظل في مهنته هذه ما يقارب ثمانين عاما، توفي في 1962/7/13م.

ودفن في مدينة النجف الاشرف. محمد مهدي البصير.....شاعرا: 25.

[3] شعراء العراق المعاصرون: 80-81. وهذه الحالة تذكرنا بما حدث للدكتور طه حسين والاديب الكويتي عبد الرزاق البصير، وان كانا قد فقدا البصر عن عمر ثلاث سنوات.

[4] يقول المرحوم على الخاقاني: "ما يملى عليه شيء من الشعر والنثر الا وعلق عليه وحفظه سريعا وثبت في ذهنه" شعراء الحلة : 247/5.

[5] ينظر ما كتبه د. محمد حسين الزبيدي في:كتابه السياسيون العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام 63.

[6] توفي في الحلة 1339هـــ-1921م. تاريخ الحلة: 145/2 البابليات: 3-40/2.

[7] ترجمة القزويني في: البابليات 3-5/2، تاريخ الحلة: 186/2، نهضة العراق الادبية: 268.

استفاد منهم، هو السيد حيدر الحلي (ت 1831م)[1]، وارتقى المنبر للخطابة، وتنقل في مجالس العزاء الحسينية، وصار خطيباً معروفاً، كما اراد له والده.

الدين والسياسة صنوان لايفترقان، فما أن امتلك البصير ناصية النظم حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، بين الدولة العثمانية من جهة وبريطانيا وحلفائها من جهة اخرى.

وكان طبيعيا ــ وقد نشا تلك النشاة الدينية ــ أن يقف إلى جانب الدولة العثمانية ويعدها حامية الدين الاسلامي، لكن الامر لم يستمر طويلا اذ انقلب ضدها في هجاء ساخر وسخط كبير[2]. وكان ينشر شعره هذا في (جريدة العرب) ومجلة (دار السلام) بتوقيع (ابن بابل) (وابن السلام) و(البابلي).

ويدخل الانكليز العراق ــ بعد خسارة العثمانيين ــ وهنا يدرك البصير ــ بثاقب نظره ــ أن الانكليز هم محتلون لافاتحون- كما زعموا، لذا اخذ يحث الناس على الاخذ باسباب القوة لطــرد المحتلــين، وطلــب الاستقلال.

كانت قضية الاستقلال تشغل باله- وهو الوطني الذي لايقبل الخضوع او الذل- وتمنى أن تكون المطالبة والحصول عليه تحت عمل منظم مدروس، وقد تم له ذلك، ففي شباط 1919م تالفت ببغداد جمعية سرية اطلق عليها اسم(حرس الاستقلال) وطلب منه أن يؤسس لها فرعا في الحلة، فلبي الطلب واسس الفرع، وصار امين سره، وكان المرحوم علاء الدين القزويني رئيسا له[3].

وقد حاولت الحكومة البريطانية اغراءه بان تسجل باسمه اراض شاسعة وبساتين، لكنه رفض هذا بإباء[4].

وفكر بعمل أكثر جدية يسهم في طرد الإنكليز، فسافر إلى بغداد سنة 1920م. ــ وبدا بذلك منعطف جديد في حياته ــ وحل ضيفا على مؤسس الجمعية السيد محمد الصدر[5].

وكانت خطة البصير تقضي عقد اجتماعات يلقي فيها الخطيب القصائد الحماسية في مجالس التعزية واحتفالات المولد النبوي، ولقد تقرر ((أن تتخذ بغداد الكبيرة مركزا لاحياء الحفلات والمظاهرات))[6]. وكان اهم موقع هو جامع الحيدرخانة.

واول قصيدة نظمها في حفل افتتاح المدرسة (الحسينية الاهلية) في 1920/5/19 عنوانها: (باعث الغضب)[7].

---

[1] ترجمته: في تاريخ الحلة: 142/2، نهضة العراق الادبية 40، معجم الشعراء العراقيين المتوفين: 130.

[2] اهم اسباب تبدل موقف البصير يعود إلى حادثة الحاكم التركي (عاكف بك) الذي هجم على مدينة الحلة سنة 1916م، وضربها بالمدافع، وكان من نتيجة ذلك أن تم تخريب ثلاث محلات احداها محلة (الطاق) التي يسكن بها، وما حدث من اعدامات بعد ذلك، ينظر: تاريخ الحلة: 88/1- 89.

[3] ينظر تاريخ القضية العراقية: 78، سوانح 2:/186.

[4] محمد مهدي البصير وجهوده النقدية:39.

[5] سوانح: 20/2.

[6] تاريخ القضية العراقية: 144/1.

[7] المجموعة الشعرية الكاملة:39.

كان للستار الديني الذي احاط بهذه الندوات والاحتفالات اثر كبير فينقوس المواطنين الذين كانوا يحضرون إلى الجوامع ودور العلم في النجف الاشرف والكاظمية والاعظمية، شارك في ذلك الشعراء وخطباء كثيرون، وكان طابع الشدة والشعور بالثقة هو الذي يغلب عليهم.

وفي قصيدة له استنهض البصير المدن الاخرى ضد الاحتلال يقول فيها[1]:

غضبنا فقمنا ثائرين بغضبة تهون المنافي دونها والمشانق

وكان من نتيجة ذلك أن اطلق الإنكليز النار على احد المواطنين فقتل في مظاهرة حدثت في يوم السابع من رمضان الموافق 25 ايار.

وهنا ادركت السلطات الانكليزية ما كان يرمي إليه البصير، فاستدعته مع ثلاثة من رفاقه، وعدتهم مسؤولين عن ذلك[2].

واندلعت الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) في حزيران 1920م، وهي تقض مضاجع الاحتلال، وكانت انباء انتصارات الثوار في النجف وكربلاء وفي اواسط الفرات وديالى تصل إلى مسامعه فيتحمس لها، ولذا نراه يقف يحييهم[3]:

فـــاض الفـــــرات جحـــافلاً وجـــرى ديالـــــى بالمقانـــبْ
واحلـــت المـــــدن العديـــدة فهـــي فـــي حكـــم المضـــاربْ
اهـــلا بابطـــال البـــــلاد حماتـــــــها عنـــد النوائـــبْ
ردوا لنـــــا الحـــق الـــذي مـــا ان نـــــزال بـــه نطالـــبْ

وينجح المستعمرون في وأد الثورة، لكن البصير ظل ينشر آراءه وقصائده في جريدة (الاستقلال) حتى القي القبض عليه في 1921/2/8، وحكم عليه الحبس مدة تسعة اشهر، مع كفالة مالية.

لكن سجنه لم يمنعه من نظم القصائد والمقطعات في التحريض على طرد الإنكليز، وبقي في السجن إلى الثامن من تموز، اذ افرج عنه عند قدوم (فيصل الأول) ملكا على العراق[4] لقد كان دور البصير كبيراً وواضحاً في الثورة فهو (مؤجج حماس ابنائها ومسجل حركاتها وسكاناتها)[5]، بل (هو مؤرخ ثورة العشرين وشاعرها وخطيبها، والعامل فيها سرا وجهرا)[6] ويكفى انه خص جل ديوانه (البركان) فيها، والف كتاباً خاصاً عنها سماه (تاريخ القضية العراقية) وقد لقي (من الجهاد والتشريد والنفي والسجن ــ بسبب الثورة ــ ما اثقل كاهله وانقض ظهره)[7]

واسهم في تاسيس حزب سياسي سري دعى بـــ(الحزب الوطني العراقي) في 1922/8/2م وصار عضوا في لجنته التاسيسية، ثم اوقف هذا الحزب بعد ستة وعشرين يوما فقط.

---

(1) المصدر نفسه 41.

(2) ينظر: تاريخ القضية العراقية 150/1.

(3) المجموعة الشعرية الكاملة:52.

(4) السياسيون العراقيون المنفيون إلى هنجام 251–253، وينظر: ادباء السجون: 417.

(5) مقالات: 76.

(6) اساتذتي مقالات اخرى:36.

(7) دراسات في النقد والشعر:25.

وخطب البصير امام الملك فيصل الأول خطبة مدوية، اثناء وجود المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس في 1922/8/23م، وهنا هاج الجمهور وصرخ بسقوط الانتداب[1].

هذا الامر اثار حنق المندوب السامي، الذي اصدر امرا –في اليوم التالي باعتقال البصير وزملائه– من حزب النهضة– ونفاهم إلى جزيرة في الخليج العربي تدعى (هنجام)[2].

وبعد نحو سبعة اشهر–1923/3/21م سمح له– وجماعته– بالعودة إلى العراق، فلما وصلوا إلى البصرة، منع من السفر إلى بغداد، ووضع تحت مراقبة الشرطة ــ إلى اواخر حزيران ــ اذ سمح له بالعودة إلى بغداد، فكان اخر من عاد اليها من المنفيين، وهذا يؤكد خوف المحتلين منه.

وفي 1928م بعث (الحزب الوطني العراقي) ثانية، فكان البصير عضو لجنته السياسية التنفيذية، الا انه ترك السياسة في ربيع 1930 (وهو نظيف اليد، رافع الرأس، ليس لاحد مطعن عليه)[3] ليبدأ حياة كفاحية جديدة، ولكن من نوع آخر.

كان التاليف والتدريس السمة الثانية في الحقبة الثانية من حياته، اذ عين استاذا لاصول الفقه الجعفري في جامعة (ال البيت) ببغداد، لكنه استعفى من هذا المنصب، بعد مدة قصيرة ثم عين استاذا للادب العربي في الجامعة نفسها.

كما عين محاضرا في (ثانوية بغداد المركزية) و(دار المعلمين الابتدائية) في الموضوع نفسه، وانتمى إلى ناد ادبي اسمه (نادي الاصلاح).

وفي حزيران 1930م اوفد إلى مصر في بعثة وزارة الاوقاف، للقيام بدراسات علمية ودينية واجتماعية، وقد سافر في الأول من تموز اليها ــ عدة طريق سوريا ــ وقد لقيت هذه البعثة هوى في نفسه، وهو الطموح إلى الدراسة والتتبع. وقد سهلت الحكومة سفرة لأنها (ارادت أن تفتت الحركة الوطنية بابعاد البصير عن العراق.... ليتسنى لها التخلص من المعارضة تدريجيا)[4].

مكث البصير– في مصر– سنة دراسية واحدة درس فيها اللغة الفرنسية على يد استاذ خاص، فأتقنها بسرعة عجيبة[5]، والتقى هناك بعدد من اعلام مصر، كالعقاد وطه حسين وهيكل.....، حتى اذا انتهت هذه السنة، ابحر إلى فرنسا لاكمال دراسته.

في فرنسا درس بجامعة (مونبليه) وحاز على دبلوم الدراسات الفرنسية فيها، في شباط 1933م، وحين عزم على الالتحاق بـــ(السوريون) ليقدم كتابه الأدب العربي قبل الإسلام) لنيل الدكتوراه رفض المستشرقون ذلك، وخاصة لويس ماسينيون الذي وقف في طريقه.

ازاء هذا لم يملك البصير الا أن يعود إلى جامعة (مونبليه) ثانية، فاتصل بالاستاذ (جوغدا) وعرض عليه موضوعاً فرنسيا بحتا هو (شعر كورني الغنائي)، فوافق الاستاذ على هذا، ونوقش في 1937/12/17م. ونال شهادة الدكتوراه بدرجة (مشرف جدا).

---

[1] محمد مهدي البصير شاعرا: 51.

[2] ينظر: تاريخ القضية العراقية 427/2، السياسيون العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام 115، مجلة كلية الاداب– العدد18–1974م، ص88–91.

[3] مجلة (الاداب) ــ العدد السادس ــ حزيران، 1952م، ص48.

[4] محمد مهدي البصير شاعرا:67.

[5] قال لي هؤلاء:202.

وتبدو صعوبة الموضوع من أن كورني كتب عن (مسرحه) الكثير، اما (غنائيته) فلم يكتب عنها احد بهذه الشمولية.

عاد البصير إلى وطنه العراق في 1938/2/28م على ظهر باخرة، برفقة زوجته الفرنسية السيدة (ايفون اوحين ادمون)[1]، ثم ذهب إلى الحلة فزار والده الشيخ محمد، واقيمت له حفلة تكريم رائعة.

وعاد البصير للتدريس في دار المعلمين العالية ببغداد في 1938/4/16 واسند إليه تدريس الأدب العربي.

وفي 1941/11/26م، حصل على لقب (استاذ)، واستمر في التدريس في هذه الدار حتى احالته على التقاعد، لاكمال الثالثة والستين من العمر، في 1959/6/27م.

ثم القى محاضرات مدة سنة واحدة فيها، بعدها اعتذر عن التدريس وانصرف إلى التأليف[2]، حتى توفي عام 1974م.

نشر البصير آراءه وافكاره في كتبه ومقالاته، شعراً ام نثرا، فاذا جئنا إلى شعره رأينا جرأته في كفاح الاستعمار وتحذير الشعب منه، وكان يعلم أن المحتلين يتعقبون كل ما يقوله وينشره، لكنه لم يأبه بذلك، فيقول: (من حسن ظن البلاد المفتوحة سوء ظنها بالفاتح وان عدل، لان هذا اذا عدل ففي مالا يناقض مصلحته الاستعمارية التي على حد ذاتها ظلم وفحش)[3].

لذا فان أي خدمة يقدمها المحتلون لاقيمة لها، ما دام الشعب في ظل الاحتلال، وفي هذا يقول: (كثيرا ما يطنطن رجال الاستعمار بخدمة يؤدونها لشعب غلبوه على أمره، فليت شعري ايريد هؤلاء ان يسلبوا الناس حريتهم وكرامتهم وخيرات بلدهم؟)[4].

وفي شعره اوضح البصير انه لايهتم بنفسه وان قتله المستعمرون، لانه ينادي بالقضية التي ينادي من اجلها كبيرة، يرخص الانسان فيها نفسه من اجلها، بعد أن غلا الدم العربي فيه[5]:

انـــا يـــا رفـــاقي لا اريـــد سلامتـــــي فتـــذكروني ــ ان هلكـــت ــرفاقي
ان لـــم تعـــش نفســـي الأبيـــة حـــرة فـــلأ ســـعين بهـــا إلـــى الازهـــاق

بل احب وطنه حباً ملك عليه حواسه إلى درجة العبادة[6]:

وطنـــــي والحـــــق يؤيـــــده اصـــــفيه الحـــــب واعبـــــده
اهـــــواه، ولـــــولا مبدعـــــه لجهـــــرت بانـــــي اعبـــــده

---

[1] ولدت السيدة ايفون في مدينة فيزول الفرنسية، وحصلت على الليسانس في الاداب من جامعة (نيس)، ثم عينت استاذة للادب الفرنسي في كلية الاداب جامعة بغداد. توفيت ببغداد 1989م. ودفنت في النجف الاشرف بمقبرة ال شهيب حيث دفن زوجها. محمد مهدي البصير وجهوده النقدية:51.

[2] محمد مهدي البصير شاعرا: 70، محمد مهدي البصير وجهوده النقدية: 53.

[3] خطرات:9.

[4] خطرات:11.

[5] البركان: 48، المجموعة الشعرية:43.

[6] البركان:66.

بل استحال هذا الحب على غيرة، كغيره المحب على حبيبته[1]:

اغـــار عليـــك يـــاوطني هيامـــا كمـــا غـــار المحـــب علـــى حبيـــب
ولـــم انظـــر إلـــى اعـــداك الا كمـــا نظـــر المشـــوق إلـــى رقيـــب

وقد رأينا كم عانى من تشريد ونفي في سبيل الوطن، لكنه لم يستسلم او يهان المحتل.

على أن البصير لم يكن اقليميا في حبه لوطنه فحسب، بل كانت له نظرة قومية تشمل بلاد العرب كلها، وعرف أن المحتلين –مهما كانت جنسيتهم– يريدون النيل من البلاد العربية الاسلامية، لذا اخذ ينادي بالوحدة العربية، والعراق بيت يقيم فيه، اما اسرته فهي الشعب العربي كله:

ليس العراق سوى بيت اقيم به وإنما اســـرتي ابناؤه العرب

وقد أكد أن هذه الوحدة يجب أن تاتي على وفق قواعد علمية صحيحة مدروسة، لان الوحدة (اكبر امل واعظم امنية)[2].

وقد كان شعره الوطني لاتشوبه شائبة دل (على صدق الرجل وعمق وطنيته ونقاء قوميته)[3].

ومن موضوعات شعر البصير الاخرى: المديح و الرثاء، وخاصة في آل البيت عليهم السلام، وبعض اساتذته، فضلا عن الطبيعة والقضايا الانسانية. وهذه منشورة في (المجموعة الشعرية الكاملة) التي تضم ديوانيه (البركان) و (زبد الامواج).

وشعره ــ بموضوعاته المختلفةــ يؤثر في النفس، لانه كان (بفضل صدق الاحساس والتعبير بريئا من شوائب النظم المقلد)[4] و (يمكن أن نضعه في صف المجددين في الشعر)[5].

واذا انتقلنا إلى آرائه الاجتماعية إلتي بثها في كتابيه (سوانح) و (خطرات) ترى أن له رأيا في الناس وهو رأي من عرف خبر. فقد ادرك اناسا تشابهت صفاتهم كما تشابهت اصواتهم، يقول: ((أن العيون والوجوه نوافذ تطل على النفس البشرية،ا أن تجربة حدثت لي اظهرت أن الصوت طريق اخر إلى النفس, فقد عرفت في بغداد ودمشق والقاهرة اشخاصا تشابهت صفاتهم كما تشابهت اصواتهم إلى درجة تسترعي الانتباه)[6].

وله رأي جميل في الحياة، فراحته أن لاتكون حياة الانسان كلها عملا وكفاحا، بل يوازن بين عمله ولذته، وذلك: (ان الحياة يجب أن تكون سراجا دائم الانارة، ثابت الشعلة، لا برقاً يخبو حيناً ويخطف الابصار حينا اخر، وان على الرجل الا ينفق سوى القدر المعقول من طاقته في ميدان العمل وانه يجب أن يكون أكثر اعتدالا واشد احتفاظا بطاقته في ميدان الشهوة واللذة)[7].

---

(1) المجموعة الشعرية الكاملة: 57.

(2) سوانح: 168.

(3) كلمات: 121.

(4) الحبكة المنغمة: 28.

(5) محمد مهدي البصير شاعرا: 159.

(6) خطرات: 62/1.

(7) م. ن.: 84/1.

ووقف إلى جانب المرأة مدافعا عنها والمرأة المثالية عنده هي المراة الصالحة, بل هي(ملاك يجب تقديسه... تمتاز برقة الخلق ورقة القلب والقدرة على ادارة البيت)[1].

وثار على بعض التقاليد القديمة التي تحرم ارسال البنات إلى المدارس، او حضورهن المجالس العامة[2]، فارسل ابنته (مي) إلى المدرسة فالجامعة. اما زوجته فقد درست في كلية التربية ــ جامعة بغداد ــ علاوة على اراء ونظرات اخرى.

اما في حقل الأدب والنقد فقد كتب في تاريخ الأدب العربي دراسات مستنهضة سواء في العصر الجاهلي (قبل الاسلام) او صدر الاسلام والاموي او العباسي في ثلاثة كتب مطبوعة، فضلا عن دراسته للموشح في الاندلس وشعراء العراق في القرن التاسع عشر.

ونثر في كتبه هذه آراءه النقدية باسلوب الباحث المتأني الذي يقف عند النصوص مستنطقا وباحثا، حتى يخرج بنتيجة علمية صحيحة، على أن المتتبع لاثار البصير يعرف ان له في بعض كتبه ردودا على الدكتور طه حسين وسنقف عند ثلاثة امثلة في ثلاثة من كتبه لثلاثة عصور. ذلك أن يناقش كاتب صنوه في موضوعات محددة، ويخالفه منهجه وارائه... ثم يقترب ــ في الوقت نفسه ــ معه، في معظم مناحي المعيشة والمهنة، فتلك امور ينبغي البحث فيها مليا لنرى خلاصة الموقفين.... فالامر جلي عند البصير وطه حسين.

فاذا استثنينا نشأتهما وفقدانهما البصر وسفرهما إلى فرنسا وزواجهما من فرنسيتين وحصولهما على الدكتوراه، فانهما بحثا في الأدب العربي وولدا وتوفيا في مدة متقاربة جدا.

هذه المواقف المتشابهة في الحياة تصطدم بالخلاف في المنهج والرؤى، اذْ كان البصير يتعقب مؤلفات طه حسين وما فيها من اراء لايقرها فيرد عليها.

واول قضية واخطرها كانت عن الشعر الجاهلي[3]، ذلك أن الدكتور طه حسين اصدر عام 1344هـ-1926م كتابا بعنوان (في الشعر الجاهلي)، ثم عاد بعد عام واحد فاصدره بعنوان (في الادب الجاهلي) وفيه تفصيل أكثر عن الموضوع، الا وهو أن الشعر الجاهلي موضوع كله ((وان الكثرة المطلقة مما نسميه ادبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء.....وان ما بقي من الأدب الجاهلي لايمثل شيئا ولايدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الادبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي)) [4].

وفكرة كتاب طه حسين، وهو في الاصل محاضراته التي القاها على طلابه، سبقه اليها المستشرق اليهودي الانكليزي دافيد صموئيل ث D. S. Margdioat (ت1940م) في مقال بمجلة (الجمعية الملكية الاسيوية) عام 1925 بعنوان (اصول الشعر العربي)[5] وواضح أن طه حسين وجد في راي مرجليوث ما يثير

---

[1] م. ن.: 74/1.

[2] سوانح: 41-42.

[3] ينظر: جريدة العراق: 1995/10/31, تشابه في الحياة... واختلاف في المنهج.

[4] في الأدب الجاهلي: 65.

[5] ترجم هذا البحث د. عبد الرحمن بدوي في بيروت 1979م، ود.يحيى الجبوري 1978-1979م. ود. عبد الله مهنا 1981م. وينظر مجلة (المنهل) العدد: 47-1989م، ص175-176.

الراي العام[1] ويرفع من صيته– على قاعدة: (خالف تذكر) –ولم يأبه للرد العلمي الذي كتبه المستشرق الالماني (بروينلج Elich Braunlich) (ت1945م) على مقال مرجليوث بعد ذلك بسنتين!

ازاء هذا كان البصير قد هيا الرد العلمي على كتاب طه حسين[2]، فكان كتابه (الأدب العربي قبل الاسلام) الذي اتمه عام 1929م ودرسه في (جامعة اهل البيت) ثم فقد، وناقشه في كتاب اخر هو (بعث الشعر الجاهلي) وكلمة (بعث) هي رد على افتعاله او انتحاله، كله بل قسم قليل منه، والبصير لاينكر (وجود الانتحال في الشعر العربي بل يقره، ويكشف عنه اينما وجده، وربما ذهب ابعد مما ذهب غيره في هذا المضمار) [3]، وهذا نتيجة تتبعه واستقرائه العميقين.

لكنه رفض الراي القائل بانكار وجود المعلقات، وان الذي وصل الينا من صنع حماد الرواية فهو يرد على هذا قائلا: (ان اكبر سلاح يستعمله منكرو الشعر الجاهلي للطعن في المعلقات هو القول أن حماد الرواية المعروف بالكذاب اول من جمعها ودونها في سفر، ولست اريد أن اناقش في فساد ذمة حماد، ولكني اقول انه اعجز بكثير من أن يقول المطولات السبع او واحدة منهن او جزءا تاما من اجزاء احداهن، ان حمادا يستطيع أن يقول البيت او الابيات القليلة من الشعر المبتذل وان يدسها في شعر احد الجاهليين، ليدل بذلك على انه اغزر علما واصدق رواية من غيره، ولكنه لايستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية ادبية وقيمة فنية)[4].

واكد ايضا: ان حماداً اعجز بكثير من أن يختلق المعلقات وان ينتحلها اشخاصا خياليين او حقيقيين بل ان اختلافها على يد شاعر واحد أمر غير ممكن نظرا لما تمتاز به كل واحدة منهن من مميزات ومشخصات لايمكن أن تتوفر في شاعر واحد)[5].

ولم يكتف البصير بهذه الادلة ليدحض بها وضع حماد الراوية للمعلقات، وتاكيده انفراد كل معلقة عن الاخرى بميزة خاصة، بل قدم قطعا من شعرهما ويوضح ركاكة شعره، وانه ليس بمقدوره، أن يصنع معلقة واحدة او معلقات!

ثم تقدم أكثر ليتناول شعراء المعلقات، ويؤكد حقيقة وجودهم، واهمهم امرؤ القيس وكان د. طه حسين قد رأى (أن شخصية امرئ القيس.... اشبه شيء بشخصية الشاعر اليوناني هوميروس...)[6] وهو غير موجود، اما د. البصير فرأى أن معلقته قفا نبك) جاهلية، ومن نظم الشاعر نفسه، وليست منتحلة، وان جاهليتها يؤيدها الدليل المادي ويقررها المنطق، اما عن تشبيهه بهوميروس فيقول: (هذا غير صحيح لان الفرق بين هوميروس وامرئ القيس عظيم جدا فنحن نجهل نسب هوميروس واسرته جهلا تاما، ولا ندري اين

---

[1] رد على كتاب طه حسين كثيرون منهم: محمد احمد الغمراوي ومحمد لطفي جمعة ومحمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي واسماعيل القاضي وشكيب ارسلان وعبد الله العدوي....

[2] ينظر: مقال في جريدة الثورة: 1994/6/25، (الشعر الجاهلي بين طه حسين والبصير)

[3] محمد مهدي البصير وجهوده النقدية: 229.

[4] بعث الشعر الجاهلي: 92–93.

[5] م. ن. 98.

[6] في الادب الجاهلي: 199.

ولد واين تعلم، ولا على وجه التقريب تاريخ ولادته، ولكننا نعرف نسب امرئ القيس واسرته معرفة لاباس بها ونعرف كذلك منبته ونشأته وتاريخ وفاته بصورة تقريبية)[1].

ومثل هذه المناقشة العلمية نجدها عند حديثة عن عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري: (أن منابع التاريخ في العصور الوسطى تنص على حقيقة عمر بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري، اذاً فلا سبيل إلى انكار وجودهما ولا إلى الشك في شاعريتهما، اما الدكتور طه حسين فيشك في معلقة عمر بن كلثوم، معتمدا على قول الاصمعي. أن مطلع هذه القصيدة هو (قفى قبل التفرق ياظعينا)، لكن هذا لا يعني أكثر من أن الاصمعي قد روى هذه القصيدة عن اعرابي لا يرويها كلها.... ويظن زميلنا الاستاذ طه حسين أن سلاسة اللفظ في معلقة عمر بن كلثوم دليل على افتعالها بعد الاسلام، لكن لغة القرآن لاتقل سهولة عن لغة هذه المعلقة ولم يفصل بينهما قرن) [2].

وانتهى إلى تاييد انهما (شاعران حقيقيان عاشا في القرن السادس للميلاد، ولعبا ادواراً خطيرة على مسرح الحياة والسياسة في البادية، واضافا إلى كنوز –ادبها بمطوليتهما– ثروة خطيرة) [3].

وختم كلامه عن صحة المعلومات وعدم انتحالها بقوله: (اننا اذا شككنا في جاهلية اصحاب المعلقات السبع، فما علينا الا أن نتلمسها في القران، فبين القران وهذه القصائد وجوه شبه ادبية وفنية قوية جدا)[4].

هذه اهم الامور والقضايا التي وردت في كتاب البصير، وهناك موضوعان اخران احدهما: عن (النابغة الذبياني) والاخر عن (اعشى بكر) لم يردا في كتابه هذا بل نشر في مجلة (الميزان) عام 1361هـ– 1942م، واعيد نشر الموضوع الثاني في مجلة كلية الاداب، 1974م.

ولا بد أن اشير إلى موقف المستشرقين من الامر، ذلك أن المستشرقين رفضوا رأي البصير وكان اشدهم عليه ما سينيون وكان مستشارا للشؤون القانونية في وزارة الخارجية الفرنسية، وهو الذي رفض كتاب البصير (الأدب العربي قبل الاسلام)، وفي ذلك يقول البصير:(ان سياسة المستشرقين الفرنسيين المصطنعة بصبغة لاعلمية ترمى إلى انكار شخصية العرب الادبية، فهم يرفضون الشعر الجاهلي كله، رفضا تاما، ولايعترفون بصبغة ادبية فنية للقرآن، كما انهم ينكرون أن تكون خطب نهج البلاغة ورسائله وحكمه للامام علي عليه السلام ويعدون عبد الحميد بن يحيى الكاتب شخصية خيالية كامرئ القيس وطرفة وزهير وغيرهم من الشعراء الجاهليين)[5].

وقال ماسينيون للبصير: (اننا معاشر المستشرقين ننكر أن يكون هناك شعر جاهلي)،ولعل حقد ماسينيون ــ علاوة على هذا ــ يعود إلى معرفته بمواقف البصير الوطنية، ومقاومته للاحتلال، وفي مناقشته معه ما يؤكد هذا.

وفي الوقت نفسه يقف مع د. طه حسين، لانه ناقل امين لارائهم، فهو يقول (انني حين اقرا ابحاث طه حسين اقول: هذه بضاعتنا ردت الينا).

---

[1] بعث الشعر الجاهلي: 78

[2] م.ن: 59..

[3] بعث الشعر الجاهلي :70

[4] م. ن.: 128.

[5] م.ن: 87.

ويبدو أن طه حسين اقتنع بخطأ رأيه، وتراجع عنه، وتخلى عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي اذ عرض لبعض شعراء الجاهلية في جريدة (الجهاد) المصرية، مطلع عام 1935م درس فيها حياتهم وخصائصهم[1].

(المثال الاخر عن العصر الاموي، اذ اعتقد د. طه حسين أن كآبة جميل بن معمر واضرابه من الشعراء العذريين ناشئة عن خيبة الامال التي يعلقها العرب على الحركة الاسلامية، وان فداحة الضرائب التي كان العرب يؤدونها على بني امية مصدر هذه الكابة الحقيقي)[2].

فرد عليه البصير بقوله:

((ان الراي غريب كل الغرابة، فجميل موسر يدلنا على ذلك قوله)):

ابيت مع الهلاك ضيفا لاهلها واهلي موسرون ذو و فضل

وليس بين الشعراء العذريين من يشكو الفقر، ولكنهم جميعا يشكون الهجر....)[3].

والمثال الاخير من العصر العباسي، هو المتنبي، اذ كتب طه حسين كتابا عن المتنبي، زعم انه ((داعية من دعاة القرامطة))[4]، وهذا الراي كان قد نادى به ماسينيون في بحث نشر عام 1936م بالمعهد الفرنسي بدمشق بمناسبة الذكرى الالفية للشاعر[5]

اما البصير فرد على هذا الرأي تلميحا، فهو قد درس المتنبي جيداً وذكر أن قرمطيا من بني كلاب ظهر في سواد الكوفة سنة 352هـ، فقاتل اهل الكوفة ومعهم المتنبي حتى قتل احد غلمانه، ويعقب على هذه الحادثة : ((انها تدل دلالة قاطعة على براعة الشاعر مما يتهمه به بعض المستشرقين ويشايعهم فيه بعض النقاد المصريين من انه داعية من دعاة القرامطة، لانه لو كان كذلك لما حارب هذا القرمطي وساهم في القضاء على فتنته مساهمة فعالة))[6].

ان ردود البصير هذه –وغيرها كثيرة– دفعت ادباء العراق إلى التهام (كل ما كتبه طه حسين التهاما)[7].

---

[1] ينظر :مجلة (الكتاب) البغدادية، العدد 6, 1975, ص 434. وكشف هذا الامر ايضا د. محمد احمد الحوفي في بحث له في مؤتمر اللغة العربية في القاهرة 1395هـ 1975م ينظر :جريدة الثورة 1994/6/25م.

ولعل ادعاء طه حسين انتحال الشعر الجاهلي يغطي ـ بدورة ـ الفراغ الثقافي نفسه لعصر الريادات في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ولولا هذه التغطية او الاخفاء لضحالة العصر، لبرهن الرواد على فضيحة ثقافية هائلة. مقالات في الشعر الجاهلي:112.

[2] حديث الاربعاء: 53/2.

[3] عصر القران: 150.

[4] مع المتنبي 47. وتنظر:54.

[5] ترجم البحث د. اكرم فاضل، مجلة المورد مج 6، العدد الثالث، 1977م ص61– 66.

[6] في الأدب العباسي: 339.

[7] دراسات في النقد والادب: 26.

ان ثقافة البصير العربية والفرنسية اسهمت في اغناء النهضة الحضارية، وعملتا على زعزعة الافكار الجامدة والجاهزة في ساحة الأدب والفكر، ولم يجعل ثقافته الفرنسية تطغي على العربية، بل استفاد منها في تعزيز وتاكيد ما كتبه من دراسات في اعلام الأدب العربي وتاريخه.

المصادر والمراجع

أ- الكتب

- الأدب العصري في العراق: رفائيل بطي، المطبعة السلفية، بغداد، 1923م.
- ادباء السجون: عبد العزيز الحلفي, دار الكتاب العربي. بيروت, د.ت.
-اساتذتي ومقالات اخرى: د. علي جواد الطاهر, دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987م.
-البركان: محمد مهدي البصير، بغداد، 1959م.
- بعث الشعر الجاهلي: د. محمد مهدي البصير، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، 1939م.
- تاريخ الحلة: الشيخ يوسف كركوش، المطبعة الحيدرية، ط1، النجف الاشرف، 1965م.
- الحبكة المنغمة : عبد الجبار عباس، اعداد د. علي جواد الطاهر وعائد خصباك، بغداد، 1994م.
- حديث الاربعاء: د. طه حسين, دار المعارف ط3 القاهرة، د. ت.
- خطرات: محمد مهدي البصير, مطبعة المعارف, بغداد، 1952م.
- دراسات في النقد والشعر: د. ناصر الحاني، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
- دراسات في الشعر العراقي الحديث: سلمان عبد الهاديآل طعمه, دار البيان العربي، بيروت,1993م.
- سوانح، محمد مهدي البصير, ج1- بغداد 1967 ج2 بغداد,1976م.
- السياسيون العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام: د.محمد حسين الزبيدي دار الحرية للطباعة ط1, بغداد 1985م.
- شعراء الحلة او البابليات: علي الخاقاني, المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف،1372هـ ـ1953م.
- شعراء العراق المعاصرون: غازي عبيد الحميد, مطبعة الشباب، بغداد. ط1957،1م.
- عصر القران: د. محمد مهدي البصير. دار الشؤون الثقافية العامة. ط3، بغداد, 1987م.
- في الأدب الجاهلي: طه حسين، دار المعارف. القاهرة, 1927م.
- في الأدب العباسي: د. محمد مهدي البصير, مطبعة النعمان, النجف الاشرف, ط3, 1970م.
- قال لي هؤلاء: عبد الرزاق الهلالي, شركة المعرفة، بغداد, 1990م.
- كلمات: د.علي جواد الطاهر. دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد، 1997م.
- المجموعة الشعرية الكاملة: د. محمد مهدي البصير, وزارة الثقافة والاعلام, بغداد، 1977م.
- محمد مهدي البصير شاعرا: منعم حميد حسن, دار الرشيد للنشر, بغداد 1980م.
- محمد مهدي البصير وجهوده النقدية: خليل ابراهيم جميل المشايخي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل/ كلية التربية 1422هـ- 2001م.
- معجم الشعراء العراقيين: جعفر صادق حمودي التميمي، شركة المعرفة، ط1, بغداد, 1991م.
- مع المتنبي: د. طه حسين, دار المعارف, القاهرة د. ت.
- نهضة العراق الادبية, محمد مهدي البصير دار المعارف، بغداد، 1946م.
- مقالات. علي جواد الطاهر, اتحاد الأدباء العراقيين، بغداد، 1962م.

- مقالات في الشعر الجاهلي: يوسف اليوسف، بيروت،1980.

ب- الدوريات:

- الآداب (بيروت) –العدد السادس يونيو، 1955م. مقال بقلم شاكر خصباك.
- الف باء (بغداد) العدد 229، السنة الخامسة، 1973/10/12م مقابلة مع البصير.
- الثورة (جريدة)- بغداد. 1994/6/25. مقال بقلم: عباس هاني الجراخ.
- العراق (جريدة)- بغداد 1995/10/13، مقال بقلم: عباس هاني الجراخ.
- الكتاب، العدد السادس، السنة التاسعة – حزيران 1975م،مقال انور الجندي.
- كلية الاداب (جامعة بغداد) ملحق العدد الثامن عشر بغداد، 1975م خاص بأربعينية د. محمد مهدي البصير.
- المنهل (الرياض) العدد 471، مج 50، 1409هـ -1989م.
- المورد (بغداد) مج6, العدد الثالث 1977م.